عودة إلى مسألة :

التوجيه في الأدب

بقلم سيف خوري

كان واسعاً ومتشعباً ردالفعل الذي احدثته مناظرة الاونسكو حول الأديب لمن يكتب ، للخاصة ام للكافة ؟ وذلك منتظر ومعقول ، فيكفي ان يكون احد المتناظرين الدكتور طه حسين .ثم يكفي هذا الموضوع الذي دارت عليه المناظرة ، فلعله في عصرنا هذا ابرز القضايا التي تتصل بالأدب ودور الأديب واشدها خطراً .

وليس يتسع المجال ولا ارى مجدياً ان اخوض في مناقشة جميع التعليقات التي أثارتها المناظرة من قرب او بعد . على ان الشكر واجب لجميع من عنوا بأمر هذه المناظرة وسواء ارأوا فيها رأيي ام رأي مناظري ام رأياً خاصاً بهم . وازيد أني مجتهد في الانتفاع بتعليقاتهم ما وسعني الاجتهاد .

بقي اني اشتهي ان اعيد القول في مسألة من المسائل الاساسية التي أدت المناظرة الى اخذ ورد طويلين فيها ، عنيت قضية التوجيه في الأدب .

فماذا يراد بالتوجيه في الادب ؟ نستطيع ان نفهم بهذا التعبير ان يكون الادب متضمناً من الافكار والعواطف والصور ما يوجه قارئه في طريق معلوم نحو هدف مرسوم ، وقد يكون هذا الهدف وهذا الطريق سياسياً او اجتماعياً او محض شيء خلقي لا فرق . ولكنه كما قلنا هدف مرسوم في طريق معلوم . لا يُكتفى من الادب بان يقرأه القاريء فيجد فيه بهجة ولذة ومتعة ، وإنما يصر على القاريء بان يتخذ موقفاً معيناً ، وبان يظهر ذلك في مسلكه العملي ، لا في مجرد اعجاب يبديه بلفظ منمق او تعبير موفق او فكرة او عاطفة او صورة مما يقرأ .

ولكن هنا ينشأ استفهام . من أي المصادر يستمد الأديب هذه الافكار والعواطف والصور التي ضمنها أدبه ؟ هل استمدها من نفسه كما يقولون ؟ ام هل املاها عليه حزب من الاحزاب او ملك او حكومة ؟

لا شك اننا نستطيع ان نفهم المصادر التي ينبع منها الادب على هذا النحو من الفهم . فنقول : إما ان يكون مصدر الادب نفس الاديب ، منها يتناول مادته ، لا يصيخ الا لهمسها ولا يحفل الا لوحيها ، واما ان يكون حكومة تفرض عليه ما يكتب او ملكاً او حزباً من الاحزاب ، وعندئذ يكون ادبه توجيهياً .

على ان هذا النحو من الفهم ، وهذا الوجه لعرض القضية ، خطأ وتضليل . فالأديب اولاً ، لا يتناول مادة أدبه من نفسه الا بمعنى مجازي . انما نفس الاديب لا تعدو ان تكون قوة او طاقة مفكرة حساسة متخيلة ، تفد عليها من خارجها (من الطبيعة والمجتمع) تلك المادة التي تصوغ منها ادباً وقد تأثرت بها وأثرت فيها .

لننظر مثلاً في قول عبيد الله بن قيس الرقيات ، وانما اخترنا هذا الشاعر لان الدكتور طه حسين تساءل عنه في المناظرة ، في جملة من تساءل عنهم على هذا الوجه الساخر المهذب الرقيق ، من الذي كان يوجهه ؟ قال عبيد الله في قصيدة له مشهورة :

حبذا العيش حين قومي جميع ... لم تفرق امورها الاهواء
قبل ان تطمع القبائل في ملك قريش وتشمت الاعداء
ايها المشتهي فناء قريش ... بيد الله عمرها والفناء !
انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك قوة ليس فيه ... جبروت ولا به كبرياء
عين فابكي على قريش وهل يرجع ما فات ان بكيت ، البكاء ؟
معشر حتفهم سيوف بني العلات يخشون ان يضيع اللواء
كيف نومي على الفراش ولما ... تشمل الشام غارة شعواء ؟!
تذهل الشيخ عن بنيه ،وتبدي ... عن براها العقيلة العذراء
انا عنكم بني امية مزور ... وأنتم في نفسي الاعداء
ان قتلي بالطف قد اوجعتني ... كان منكم لئن قتلتم شفاء !

فهل اتى عبيد الله بن قيس بمادة هذا الشعر من نفسه ؟ لنسمعه يتحدث فيه عن تصدع وحدة قريش في عصره بين زبيريين وهاشميين وامويين ، وعن طمع القبائل في ملك قريش ولعله يشير بذلك الى مذهب الخوارج في ان الخلافة حق لكل مسلم يبايع عليها وتستكمل فيه شروطها . وعن قوم يشتهون

« لا قوام للادب ولا قيمة له إلا بان يكون موجّها وموجّهاً بقصد الأديب ووعيه وعمق معرفته ، مع بقاء الاديب حراً مختاراً مستقلاً لا يلزمه الا اقتناعه ولا تملي عليه بطريق ضميره الا حرمة القيم ، من حقيقة وخير وجمال وواجب ، وجميعها يتلاقى في الوطنية الصحيحة والانسانية الصحيحة . »

فناء قريش ، ولعله يشير بذلك الى الخوارج ايضاً والى الموالي ، ولاسيما الفرس الذين كرهوا واكبروا ان يهدم العرب ، حفاة الصحراء وجفاتها ، ملكهم ويبسطوا عليهم سلطانهم . لنسمعه يتحدث عن عداوة القرشيين فيما بينهم ، كل فريق منهم يخشى ان يضيع منه اللواء ، فهم يقتتلون ويجلب بعضهم لبعض حتفه يشير بذلك الى الحروب الاهلية التي تزعمتها احزاب قرشية وهلك فيها قرشيون كثر . ثم لنسمعه يتحدث عن مصعب بن الزبير وملكه ، وعن الامويين ، ومن قتلوا بالطعن ، يعني كربلاء حيث ذهب الحسين بن علي ورهطه جزراً بسيوف بني امية ونكل بالهاشميين تنكيلاً . اليس كل تلك مادة من صميم المجتمع العربي الاسلامي ، واحداثه في عصر عبيد الله بن قيس؟ ماذا اخترع الشاعر من هذه المادة كلها ؟ لقد وفدت على نفسه من خارج ، من عصره وبيئته . فاما الذي اضافته نفسه الى هذه المادة ، فالحزن على نكبة قريش ، والقلق على مصيرها ، والاعجاب بمصعب ، والكره للامويين ، والتنكر للخوارج ، وقلة الاطمئنان الى الهاشميين لانهم يعتمدون على الموالي. أما الذي اضافته نفس عبيدالله الى هذه المادة فهو العاطفة التي اختص بها!

وحتى هذه العاطفة قد تكيفت باحوال عبيد الله الخاصة . فهو ابصر النور قرشياً حجازياً . وهو شهد الامويين ينقلون قاعدة الدولة الى دمشق ، ووجد الخوارج يرمون الى شيء من جمهورية اسلامية لا يخصون قريشاً بالخلافة ، ورأى الهاشميين ينصرفون الى الموالي ، والموالي شعوبيون ، ثم رأى مصعباً يؤثره بالعطف والجوائز. ومن ثم كانت عاطفة عبيد الله زبيرية حتى انهار الزبيريون اتم انهيار ، ومن ثم كان عبيد الله موجهاً باحواله الخاصة وباوضاع بيئته وسياسة عصره العامة .

وغريب ان يكون الدكتور طه حسين هو الذي علمنا ذلك كله من امر ابن قيس الرقيات ، ثم يذهب الى انه لم يكن موجهاً . اكبر الظن ان فهم الدكتور للتوجيه في الادب انما ينحصر في ان يملي على الاديب ماينشئه او ينظمه املاءً ، كأن يدعو مصعب بن الزبير ، مثلاً ، عبيد الله بن قيس الى مخيمه ، ثم يملي عليه معاني قصيدته ، « حبذا العيش » ويملي عليه حتى طرفاً من عبارتها !

وهل يحتاج الى بيان ان هذا الفهم الحرفي لمسألة التوجيه في الادب لا يستقيم ؟ إنه في الواقع تبسيط لمسألة أعمق من ان تحتمل هذا التسطيح . فاذا كان الاديب ، اولاً ، لا يتناول مادة ادبه من نفسه الا بمعنى مجازي ، بل تفد عليه هذه المادة من خارج نفسه ، من المجتمع والطبيعة ، فان التوجيه لايرادبه قط الاملاء من قبل حزب اوملك او حكومة . وهذا ماشئت توضيحه ثانياً . وهو الذي حملني في المناظرة على ان اصر ان الادب ، وان لم تكن مادته ميتافيزيكية ، بل نابعة من المجتمع والطبيعة حول الاديب ، فهو بالنتيجة فعل خلق نفسي ، وفعل خلق فردي بمعنى ان الاديب يصوغ ادبه في بوتقة نفسه ، ويصوغ ادبه وحده . واصح ما يكون هذا الفعل ، فعل الخلق الادبي اذا حصل باختيار الاديب وحريته واقتناعه . فعندئذ فقط يخلص التوجيه من خطر الآفة التي تهدده وتفسده ، آفة التقنين والتقليد في المواضيع والمعاني حتى العبارات . وهذا ما يفهمه المتأثرون بالنظرة الماركسية الى الادب تأثراً سطحياً ، والمدافعون ، كيفما شهدت الوقائع ، عن الدعوى ان الادب السوفياتي حر كل الحرية .

غير اني مع احترامي لهؤلاء ، وقد يزدرون احترامي ولكن يوجبه علي خلاقي وادب المناقشة والاقتصار على الطموح الى الحقيقة لا استطيع ان اقرهم على مايفرحون به فرح الذي حرم في ارضه قيمة عزيزة غالية فهو يتوهمها ويلتمسها في ارض ميعاد نائية .

ما كان ولن يكون رأينا في التجربة السوفياتية ، ونحن عروبيون لبنانيون اشتراكيون ، رأي الذين جعلوا مكافحة الشيوعية السوفياتية مبرر وجودهم ، وان تلهوا بذلك وألهوا عن اقدس الاماني الوطنية المباشرة. على ان هذا شيء وادعاء الحرية للأدب السوفياتي شيء آخر . ولست استعمل الا حجة قريبة بسيطة تنفي كل براعة وتفاصح ، وتثبت ان الاديب السوفياتي يعاني ازمة ولا يشعر هو نفسه بتلك الحرية المطلقة التي يصر غيره على بعد مئات الاميال ، انه ينعم منها بفيض غزير .

ففي محاضر جلسات مؤتمر الكتاب السوفياتيين الذي عقد في تشرين الثاني المنصرم ، على كثرة ما دار في هذا المؤتمر من مناقشات واقتراحات وانتقادات للذات وللاخرين ، تفوح الا من قليلها رائحة الامثولات المحفوظة او الادوار المرسحية ، قرأت لكاتب او شاعر يدعي باشين اعترافاً ذا دلالة خاصة ، ذكر فيه كيف احتلت في السنة ١٩٥١ مواسم المنطقة التي ولد فيها ، وكيف عاقبت السلطة المحلية رؤساء احدى المزارع التعاونية عقاباً تعسفياً ، ثم عقب على ذلك بقوله : « وما زلت حتى الساعة احس بثقل الذنب على ضميري امام الحزب وامام الشعب في منطقتي ، لاني اعوزتني شجاعة المواطن فلم اسع في تعديل أمر كان واضحاً كل الوضوح انه شاذ ، وغير طبيعي » .

لقد اثار ياشين بهذا الاعتراف ما يصح ان نسميه مأزق الاديب السوفياتي وورطته ، وان كان لم يجسر على المضي الى النهاية في مواجهة المشكلة والتصريح بكل ما يقود منطق اعترافه الى التصريح به . فان شيئاً من شجاعة المواطن ، على حد تعبيره . ما زال يعوزه في هذا الاعتراف ايضاً .

في السنة ١٩٥١، يشهد ياشين السلطات المحلية تتخذ بحق رؤساء مزرعة تعاونية تدابير ظالمة. والسلطة المحلية في منطقته تابعة طبعاً للحزب الحاكم في الدولة وعاملة بأوامره ويدرك ياشين ان واجبه اديباً ومواطناً، يقضي عليه ان يقاوم هذه التدابير، وبالتالي ان يتصدى لنقد الحزب علناً في منطقته بوسائل الاديب، كأن يكتب فصلاً او قصة او ينظم شعراً محتجاً الى الشعب جهاراً من على منبر جريدة او مجلة او اجتماع شعبي، ولكن ياشين لا يصنع شيئاً من ذلك، لا يرفع حتى شكوى مستورة على الطبقة التي يحب الحزبيون ان يغسلوا بها الثياب الوسخة، فيما بينهم سراً، ولا يقرعوا باخطائهم علناً الا حين تهددهم نقمة الشعب او حين يثقون بانهم في مأمن بحيث يستطيعون دون استهداف لخطر ان يقرعوا على أنفسهم بشيء من الغلط ويكسبوا، نفاقاً، سمعة المتواضعين والطيبين والقائلين الحق ولو على انفسهم!

ويأتي ياشين بعد اربع سنوات، يذيع انه يحس ثقلاً على ضميره، وانه فاتته شجاعة المواطن! ولم يكن بهذا بأس لو ان العلة فردية شخصية في ياشين. ففي كل مجتمع يرى من تفوتهم الشجاعة (والذين يدافعون عن الادب السوفياتي بكل وجه يؤكدون اني انا من هؤلاء)، اجل، لم يكن بهذا بأس لو ان ياشين، وغير ياشين ساعة ادرك الظلم في التدابير التي اتخذت بحق رؤساء المزرعة التعاونية، قد كان باستطاعته ان يجد جريدة او مجلة او اجتماعاً شعبياً يجاهر فيه بنقد هذه التدابير مع ما في هذا النقد من تعريض بممثلي الحزب الحاكم والدولة. اجل، لم يكن بهذا بأس لو ان ياشين وغير ياشين قد كان بامكانه ان يفكر في الامر ويقدم عليه دون ان يعلم انه ولا بد، مجابه النفي، والسجن وتطهير المكتبات من آثاره وتحريم النشر عليه واتهامه بالتخريب وخدمة الاستعمار ورأس المال والاجرام بحق الانسانية وقطع رزقه او قطع عنقه بانتظار ان يأتي بعد اربع سنوات او بعد مرحلة تاريخية من يعترف بانه ظلم، وبأن احد الساسة: تروتسكي او بيريا او غيرهما، هما الخونة المسؤولون عما حل بالاديب الضحية، وهكذا يقفل الحساب! حسب الاديب تعويضاً ان جريمة الاضطهاد التي اودت به قد مسحت عن الدولة والحزب الحاكم، وان اديباً آخر، زميلاً له، قد وقف يعترف امام الشعب والحزب بنقص في شجاعته وبثقل يثقل ضميره لانه لم يدافع عنه، فيكون هو أيضاً ضحية اخرى للحزب وللدولة، وهكذا تكون الحرية!

يا اصحاب الدعوى ان الادب السوفياتي حر، وغير ملقن من قبل الدولة والحزب الحاكم! هل تدركون ان وكيل الحرية ليس ان يتناقش سيمونوف واهرنبورغ مثلاً وفي ان ينتقد ياشين ذاته، بل هي في ان يناقش سيمونوف واهرنبورغ وياشين الدولة والحزب الحاكم، وفي ان يؤمن النظام لهؤلاء ضمانة قانونية فعلية، ان يقولوا للنكوف وخروششيف ورجال السلطة: ما بال بيريا كان يخوننا طوال السنين والاعوام بحسب اعترافكم وانتم تعلمون وتسكتون، اي تمالئون؟ ومن المسؤول عن ارواح عذبت ودماء اريقت ومصالح وطنية عطلت ثمرة خيانته التي تصفون طوال هذا الدهر الطويل؟

يا اصحاب الدعوى ان الادب السوفياتي حر، اذا كنتم ترون كثيراً ان يخضع امثال مالنكوف وخروششيف لمناقشة الادباء، فدلونا ولو على اثر ادبي واحد انتقد فيه بيريا قبل ان يلعنه الحزب والدولة مع انه بحسب ما اذيع عنه كان لعيناً متآمراً مستتراً منذ سنين وسنين واقل واجب على «الادب الحر» و «ادب الطليعة» ان يلمح الى ذلك ولو تلميحاً، لا ان يشمل مثل هذا اللعين المتآمر المستتر بترانيم التسبيح والتمجيد التي يصعدها هذا الادب للدولة والحزب الحاكم، حتى اذا اشارت الدولة والحزب على هذا الادب بتغيير النغمة، فعل مطواعاً منصاعاً، فأثبت انه ليس ادب طليعة فيما يتعلق بالدولة والحزب بل ادب ذنب واغفروا لي هذا «التجديف»!

دلونا ولو على اثر ادبي واحد انتقد فيه بيريا وخطته، قبل محنته، دون ان ينكب الاديب الذي تجرأ على انتقاده، ان وجد مثل هذا الاديب وقولوا لنا من بعد: اليس في هذا وحده شاهد يلقي الشبهة على الحرية التي تدعونها للادب السوفياتي في كل حال، بل تثير الشك حتى في ان هذا الادب يمثل عواطف ادبائه وحقيقة بلاده صادق التمثيل؟

وفي هذا، ولنعد الى صلب موضوعنا، ما يقطع بان التوجيه في الادب هو غير التلقين والتلقين من قبل الدولة والحزب الحاكم، وكذلك ينبغي له ان يكون.

بقي سؤال مما تثيره هذه القضية، قضية التوجيه في الادب، ولا بد من وقفة عنده لانه من الاهمية بمكان، فالذين لا يطمئنون الى التوجيه، والدكتور طه حسين من هؤلاء، يستعملون حجة فنية في اتهام التوجيه والحرص على اعتاق الاديب منه. يريد هؤلاء من الاديب ان يصنع ادبه طليقاً حتى من القواعد البلاغية ومذاهب النقد ووجوه النظر الى الادب من خلال المصلحة الاجتماعية وخدمة كافة او خاصة، او اشتراكية او ديموقراطية او شيوعية او فاشية، لان هذا كله يشغل الاديب عن الانتاج ويسوقه الى التقيد والتكلف. فلينتج الاديب ادبه اذاً، فيض طبيعته وارتجال سليقته، لا يعي شيئاً غير انه يعبر عن أمر تدفعه حاجة عاطفية او مزاجية الى التعبير عنه، ثم فليقرأ القاريء بحسب ذوقه لا يعنيه امر سوى انه يلذ او لا يلذ ما يقرأ.

واعترف للدكتور طه، ولمن يذهب مذهبه ان هذا هو حقاً اجود الادب من جهة الطبع والعفوية. ولكن اتراه ممكنا في عصرنا؟ أتراه حتى ممكناً في العصور التي تجاوزت فيها المجتمعات اطوارها البدائية. الساذجة ودخلت في طور التعقيد في العلائق والنظم والمشاكل الاجتماعية والسياسية والعقلية؟ كلا؟!

وآثار العظماء من الكتاب والشعراء تدل على انهم جميعاً كانوا يرمون في ما يكتبون او ينظمون جانب مذهب يؤثرونه او نزعة بلاغية، او غاية اجتماعية او سياسة يرمون اليها. وربما كان اجل خدمات المدرسة الحديثة في النقد الادبي انها اصبحت اعمق سبراً لهذه المحركات الدفينة في نفس الاديب واقدر على الكشف عنها.

هذا ابو الطيب المتنبي مثلاً. لماذا اختلف مدحه لسيف الدولة عن مدحه لسواه؟ لن اتوسع في وجوه اختلاف هذا المدح، بل اكتفي بالايماء الى وجه واحد منها. لماذا كان اشهر واروع مدائح المتنبي لسيف الدولة بريئاً من هذا الاستطراد والتألف والدوران الذي نلقاه في مدح كافور مثلاً او عضد الدولة في قصيدة المتنبي «على قدر اهل العزم»؟ وفي قصيدته «عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم» (اكتفي بهذين المثالين) تركيز على الموضوع، فلا تمركز على غزل، ولا وصف لاطلال، ولا توقف عند مشاهد طبيعية، او عند عقد ومشاكل نفسية خاصة بالمتنبي، الذي نجده في قصائده «من الجآذر في زي الاعاريب»، و«كفى بك داء ان ترى الموت شافياً» و«اثلث فانا ايها الطلل» و «مغاني الشعب طيباً في المغاني». فمن اين نبع هذا الاختلاف؟

الجواب ان المتنبي لم يكن في مدحه لكافور ولعضد الدولة على مثل الارتياح النفسي، والاحتشاد الحماسي، والفني اللذين يطالعاننا في مدحه لسيف الدولة. ولم؟ لان المتنبي كان اشد اعجاباً بسيف الدولة واعظم فتنة به. وانما كان كذلك لاسباب اوجبها ان المتنبي عربي العصبية كاره

للشعوبية وامرائها وملوكها ، يتوسم في سيف الدولة ملامح بطل عربي يقيل العرب عثرتهم في ذلك العصر . وكل ذلك يتراءى في شعره ، وعن وعي وقصد من المتنبي .

قال لسيف الدولة يهنئه بانتصاره على الروم:

الهي الممالك عن فخر قفلت به ... شرب المدامة والاوتار والنغم !

وقال له :

نفت رقاد علي عن محاجره ... نفس يفرح نفساً غيرها الحلم

ولا يتم غنى المعنى في هذين البيتين الا اذا فهمناهما على ضوء مقت المتنبي للعباسيين لانصرافهم الى المجون وفرحهم بتظاهر الملك بينما غيرهم (البويهيون) يستأثرون بحقيقة السلطة ، للعباسيين السيح وللبويهيين العصب واللحم والدم.

وقال بعد عودته من مصر يمدح سيف الدولة ايضاً :

انت للروم طول دهرك غاز ... فمتى الوعد ان يكون القفول؟

وسوى الروم خلف ظهرك روم ... فعلى اي جانبيك تميل ؟

كيف لا تأمن العراق ومصر ، ... وسراياك دونها والخيول ؟

لو تحرفت عن طريق الاعادي ... ربط السدر خيلهم والنخيل

ودرى من عزه الدفع عنه ... فيها[1] انه الحقير الذليل !

ليس من عنده تدار المنايا ... مثل من عنده تدار الشمول !

ليس الاك يا علي همام ... سيفه دون عرضه مسلول !

يحمل المتنبي في هذا الشعر على سادة العراق الصوريين والفعليين من عباسيين وبويهيين ، وعلى سادة مصر الاخشيديين ويبين انه لولا سيف الدولة وجهاده لاكتسح الروم هذين البلدين ولدرى حكامهما المشتغلون بشرب الخمرة أنهم حقراء اذلاء ، ويسأل المتنبي سيف الدولة من يحول غزواته عن الروم الاعداء في القسطنطينية ، الى الروم خلف ظهره وهم الاعداء في بغداد والفسطاط .

وقال في ما سمي مدحاً لكافور حين تغلب على الثائر شبيب :

قضى الله يا كافور انك اول ... وليس بقاض ان يرى للاثان

فذاك تعنى بالأسنة والقنا ... وجدك طعان بغير سنان ؟

لو الفلك الدوار ابغضت سيره ... لعوقه شيء عن الدوران !

يخاطب كافوراً ان لا حاجة له في اعداد السلاح لان حظه يغنيه ، فقد ارادت مشيئة الهية ، غامضة التدبير ان يتبوأ الملك ويحتفظ به ، وهذا هزء بكافور كما كان يقول الوزير ابن حنزابة ، يجرد العبد الأخشيدي من الفضل وينسب بلوغ الامارة وبقاءه فيها الى قصد إلهي ربما كان عقاباً للبشر.

وقال في مدح عضد الدوله يتنزل في بدوية :

في مقلتي رشاء تديرهما ... بدوية فتنت بها الحلل

لو ان فناً خمر صبحكم ... وبرزت وحدك عاقه الغزل

وتفرقت عنكم كتائبه ... ان الملاح خوادع قتل !

فالغزل ببدوية في مدح ملك شعوبي ، والتخلص الى مدح هذا الملك بالقول انه لو رأى تلك البدوية الفاتنة لشغل بجمالها حتى يختل ، نظام جيوشه وتتفرق ، ثم ترقب ذلك بان الملاح خوادع قتل ،ليس فيه من المدح الجدي الا القليل ، بل انه لعبث وسخر كاخبث ما يكون العبث والسخر !

ومن زعم ان المتنبي كان يأتي ذلك كله وهو لا يقصد قصداً الى ما يفعل ، بل انما ينظم ارتجال الطبيعة ولا يعي شيئاً غير حاجته الى التعبير ، وليقرأ القاريء من ثم بحسب ذوقه لا يطالب الا بلذة يجنيها مما يقرأ ، ان من زعم هذا الزعم في المتنبي فقد تشبث بقضية ، اقل ما يقال فيها ان حظها من الاقناع ضعيف ضئيل .

فالمتنبي في هذا كله قد وجهه بيئته وعصره وقد التمس هو ان يوجه الى بيئته وعصره . وكان هذا التوجيه والتوجه خلال نفسه ، وان لم تواظب نفسه دائما على الامانة لما اراد لها من توجه وتوجيه ، حتى قال لكافور :

وما انا عن نفسي ولا عنك راضيا !

ولم يكن المتنبي في هذا كله الا واعياً لما يفعل .

فاذا كان المتنبي في عصر بعيد كعصره لم يستطع الا ان يكون داعياً لما يفعل والا ان يتخذ موقفاً يقصد اليه قصداً ، فالاديب في هذا العصر اعجز عن التخلص من عنصر العصر والوعي موجهاً باحداث عصره حريصاً على ان يؤثر فيها الاثر التوجيهي الذي ينتهي الى الاقتناع به مختاراً معرفة انه هو الحقيقة والخير والجمال والواجب .

اما كيف يتاح للأديب ان يكون موجها وموجهاً مع هذه الحرية والاختيار ، لا يلقنه حزب ولا دولته ، ولا تقننان له ، ويبقى مستقلاً عن الحزب والدولة حتى ولو وافق موقفه موقفهما في احيان ، فتلك مسألة قد طال شوط الحديث الان حتى أوجب ارجاءها .

لكن نعيد القول ، ونصر على القول ، بان لا قوام للأديب ولاقيمة له الا بان يكون موجهاً وموجهاً ، بقصد الأديب ووعيه وعمق معرفته مع بقاء الأديب حراً مختاراً مستقلاً لا يلزم الا اقناعه ولا تملي عليه بطريق ضميره الا حرمة القيم من حقيقة وخير وجمال وواجب وجميعها عندي يتلاقى في الوطنية الصحيحة والانسانية الصحيحة اللتين ترد احداهما على الاخرى في انسجام ، وتتضافران على توفير الاستقلال والحرية والعدل الاجتماعي والسلم على الشعوب ، وبالدرجة الاولى عندي الشعوب العربية . وتلك انانية ليؤذن لي بها لانها حق وحلال ! *

رئيف خوري

* **تعقيب :** ستنشر « الآداب » في عددها القادم تعليقات اخرى لبعض الكتاب ، ضاق المجال عن نشرها في هذا العدد . (قلم التحرير)

[1] فيها : الضمير عائد على مصر والعراق .

دار المعارف
تقدّم مجموعة
تفسير القرآن الكريم
تأليف الأساتذة
محمود محمد حمزة حسن علوان محمد أحمد برانق
تفسير جمع بين وقار القديم وجدّة الحديث
يقع في ثلاثين جزءًا من القطع المتوسط ، وقد سار فيه الشارحون على عرض الآيات ، ثم شرح ألفاظها وعباراتها ، ثم عرض مجمل المعنى في عبارة سهلة تجعل إدراك المعاني القرآنية يسيرة قريبة المنال لكل طالب ولكل مثقف .